مواقف العلماء من غياب الوحدة السياسية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢ - ٤٧٩هـ / ١٠٣٣- ١٠٨٦م)

طارق بن زاوي

أستاذ مساعد التاريخ الوسيط
جامعة المسيلة
الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

طارق بن زاوي، مواقف العلماء من غياب الوحدة السياسية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢هـ – ٤٧٩هـ / ١٠٣٣م – ١٠٨٦م).- دورية كان التاريخية.- العدد الواحد والعشرون؛ يونيو ٢٠١٣. ص ٩٣ – ٩٩.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّصْ

من العوامل الأساسية التي أدت إلى ضياع الأندلس الصراعات السياسية التي رافقت التواجد الإسلامي في هذه المنطقة منذ فتحها، ولعل المرحلة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بمرحلة ملوك الطوائف والتي جاءت مباشرةً بعد سقوط الدولة الأموية الأندلسية سنة (٤٢٢ هـ/ ١٠٣٣م) كانت السبب المباشر في انحسار النفوذ الإسلامي، ومن ثَمَّ بداية العد التنازلي الفعلي لاسترجاع النصارى أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة الأيبيرية مستغلين حالة الضعف والانقسام والاستعانة بالعدو الذي ميّز الجانب الإسلامي، ولكن الله سخّر لهذه الأمة فئة مهمة أبت أن تعيش بمعزل عمّا يحدث، إنها فئة العلماء الذين بذلوا جهودًا جبّارة من أجل إعادة الوحدة السياسية، ودفع الصائل (المعتدي) الذي بات يذيق المسلمين كل أنواع الذل ملحقًا بهم الهزيمة تلو الهزيمة، لقد كان للعلماء دور مهم في الحفاظ على الأندلس خاصةً بعد أن عملوا على إيصال صوتهم ونقل معاناة المسلمين إلى دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي لم يدّخر جهدًا في الجواز إلى العدوة العليا وإلحاق الهزيمة النكراء بالنصارى في معركة الزلاقة الخالدة (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م)، الأمر الذي أمّد في عمر التواجد الإسلامي في الأندلس لقرون أخرى.

مُقَدِّمَةْ

صنفان من الناس صلاحهما صلاح للأمة وفسادهما فساد للأمة، العلماء والأمراء، فإذا تحالفوا على الحق كان ذلك من أعظم الأمور التي تعود بالخير على الجميع، ولذلك نجد السلطة السياسية غالبًا ما كانت تحاول تبرير شرعيتها وأعمالها بفتاوى يصدرها العلماء، خاصةً أولئك الذين يكنّ لهم العامة احترامًا كبيرًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولعلّ أهمّها محنة الإمام أحمد بن حنبل وما جرى له أيام الفتنة المعروفة.

وإذ نتحدث عن مكانة العلماء ودورهم في الحياة السياسية، فإنّهم أدّوا دورًا هامًا في الأندلس في ذلك الزمن الذي ضعفت فيه ريح دولة الإسلام، والذي اصطلح المؤرخون على تسميته بعهد ملوك الطوائف، حيث لم يدّخر العلماء جهدًا في محاولة لمّ الشمل ورأب الصدع والتحذير من التفرق وتحريم موالاة النصارى، فما هي طبيعة هذه المجهودات التي بذلها العلماء في هذا الإطار؟ وكيف تعاملوا مع أحوال الأندلس المزرية ؟ وما هي نتائج مجهوداتهم؟

وقد حاولت في هذا الموضوع الإجابة عن هذه الأسئلة، مبتدأً بالكلام عن سقوط الدولة الأموية وانقسام الأندلس، ووقوع مدنها بين أيدي من حمل ألقاب الخلفاء، ثمّ معرّجًا على ذكر مواقف العلماء الأندلسيين خاصةً ممّا آلت إليه أحوال البلاد، فذكرت أولاً مَنْ أنكر الأوضاع السياسية السائدة، ثمّ أعقبت ذلك بالحديث عن دور العلماء في دعوة المرابطين من المغرب الأقصى لرفع راية

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الجهاد والتوحيد، وأخيرًا نقلت بعض الآراء الشاذة التي ساندت ملوك الطوائف.

أولاً: سقوط الدولة الأموية وظهور ملوك الطوائف

لقد تمكن الأمويون من بسط نفوذهم على الأندلس، وظلّوا يجمعون بين السلطتين الزمنية والروحية، إلى أن جاء المنصور بن أبي عامر[١] وأبناؤه من بعده، فانتزعوا السلطة الزمنية في أيام الخليفة الأموي هشام المؤيّد[٢] واستبدّوا بالأمر، وكان هذا بداية لنهاية الخلافة الأموية في الأندلس، لا سيما بعد أن طمع عبد الرحمان بن المنصور بن أبي عامر[٣] في الخلافة نفسها، حيث تقدّم إلى الخليفة وطلب منه أن يعهد إليه بولاية العهد، فوافق هشام وكتب عهدًا بذلك، مضمونه أنّ الخليفة لم يجد مَنْ هو أصلح لولاية العهد بعده من عبد الرحمان بن المنصور بن أبي عامر.[٤]

ولقد هزّ هذا الحادث الدولة الأموية، وعزّ على المضريين أن ينتقل العرش إلى اليمنيين، ذلك أنّ الأسرة العامرية يمنية الأصل، فانبعثت العصبية القبلية القديمة، وانتهز الأمويون غياب عبد الرحمان بن أبي عامر في الشمال، فخلعوا هشام وولّوا رجلاً من أحفاد الناصر،[٥] وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر،[٦] ولقبوه بـ "المهدي"، ولما بلغت هذه الأخبار عبد الرحمان بن المنصور بن أبي عامر رجع من غزوته في الشمال، وكان كلّما اقترب من قرطبة انفضّ عنه جماعة من جيشه، حتى صار في قلّة، فاعترضه أحد خصومه فقبض عليه وقطع رأسه وحملها إلى المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر، وبموته انتهت دولة بني عامر سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م).[٧]

والمرحلة الموالية من العصر الأموي في الأندلس كانت مليئة بالفتن والاضطرابات، تصارعت فيها العناصر المختلفة في الدولة كالبربر والصقالبة،[٨] وأهل قرطبة، وفي سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) سقطت الدولة الأموية بشكل نهائي بعد أن عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله،[٩] وتمّ إجلاء مَنْ بقي من الأمويين من قرطبة، ثمّ أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور[١٠] انتهاء الخلافة الأموية لعدم وجود من يستحقها، وصيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء وصفوة الزعماء، أو ما أسماه بـ الجماعة.[١١]

وقال المقري في وصف الأندلس في هذه المرحلة: "وانقطعت الدولة الأموية من الأرض، وقامت الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات، واقتسموا خطتها، وتغلّب بعضهم على بعض واستفحل أمرهم، وعظم شأنهم، ولاذوا بالخزي للطاغية، يظاهر عليهم ويبتزّهم ملكهم، وأقاموا في ذلك برهة من الزمان، حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني فخلعهم، وأخلى منهم الأرض".[١٢]

ومن أحسن ما قيل في وصف حال البلاد، أبيات للشاعر أبي الحسن بن رشيق القيرواني:

وممّـا يزهـدني فـي أرض أنـدلس
تلقيـب معتضـد فيـها ومعتمـد
ألقـاب مملكـة فـي غيـر موضـعها
كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد[١٣]

وعمّت هذه الإمارات والدويلات الطائفية الأندلس، عمل كل واحد منها على بسط نفوذه في أرض الأندلس، وانضوت تحتها ثلاثة أحزاب كبيرة:

- **أمّا الحزب الأول فيمثله أهل الأندلس وأهل البلاد الذين استقروا فيها منذ القديم**، بغض النظر عن أصلهم، ومن أهمّهم بنو عباد اللخميون، ومقرّهم إشبيلية، وبنو جهور في قرطبة، وبنو هود الجذاميون في سرقسطة، وبنو صمادح أو بنو تجيب في المرية، وبنو برزال في قرمونة، وبنو نوح في مورور، وعبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية وغيرهم.[١٤]

- **وأمّا الحزب الثاني فيمثله البربر حديثو العهد في الأندلس**، لاسيما الصناهجيين الذين استقرّوا بها أيام المنصور بن أبي عامر، ومن زعماء هذا الحزب بنو زيري في غرناطة، وبنو حمود في مالقة.[١٥]

- **والحزب الثالث يمثّله كبار الصقالبة** الذين استقرّوا في شرق الأندلس وكوّنوا الدويلات الصغيرة، وكانت تجمعها رابطة تحالف تسعى الدولة العامرية الصقلبية، لأنّ أصحابها كانوا من مماليك المنصور بن أبي عامر وأبناؤه، ومن أشهر هؤلاء مجاهد العامري الذي استقلّ بدانية، ثمّ استولى على جزر الباليار وغزا سردانيا وسواحل إيطاليا وسيطرت أساطيله على غربي بحر المتوسط.

ولا بدّ من الإشارة إلى الجهة المتربصة بديار الإسلام، وهي ممالك إسبانيا المسيحية التي أوضاعها على العكس تمامًا خاصةً من الناحيتين السياسية والعسكرية، وكان من أشهر ملوك النصارى آنذاك ملك قشتالة ألفونصو السادس،[١٦] أو الأدفونش كما تسميه المصادر العربية، ونجح هذا الملك في توحيد مملكتي قشتالة وليون، وبسط نفوذه على الممالك الشمالية الإسبانية، واحتل طليطلة قاعدة الثغر الأدنى للمسلمين سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م)، وذلك بسبب خيانة حاكمها يحي القادر بن ذي النون،[١٧] الذي اتبّع سياسة ضعيفة عجّلت بسقوط المدينة، فكان هذا الحدث كارثة كبرى على الإسلام في الأندلس، إذ احتلّ العدو النصراني أراض شاسعة امتدّت جنوبًا حتى جبال قرطبة وأطلق الأسبان على هذه المنطقة المحتلة اسم قشتالة الجديدة.[١٨]

وبالعودة إلى أحوال الأندلس الاقتصادية، فإنّنا نجدها لا تختلف عن أحوالها السياسية، فاعتداءات ألفونصو السادس شكّلت ضغطًا اقتصاديًا رهيبًا على ملوك الطوائف، وذلك باستنزاف مواردهم المالية عن طريق فرض الضرائب السنوية التي كانت تسمى (Parias) باراس،[١٩] وازدادت مقاديرها إلى درجة أن بعضهم عجز عن أدائها، وقد خلّف هذا الضغط واقعًا اجتماعيًا

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

مزريًا، فامتلأت خزائن ألفونصو السادس بموارد إضافية قدّرت بحوالي ٤٠ كغ من الذهب سنويًا، في حين نجد أنّ ملوك الطوائف زادهم هذا الأمر ذلاً على ذل، ولم يستطيعوا ضبط الأمور داخليًا وخارجيًا، كما انهارت قوة الإنتاج الرئيسية في الأندلس وهي الزراعة، ممّا يعني تصدّع البنية الاقتصادية برمّتها.[٢٠]

ثانيًا: مواقف العلمـاء من ملـوك الطـوائف

٢/ أ - المواقف المنددة بملوك الطوائف:

إنّ الإسلام دين وحدة وجماعة، فقد جاء في ظرف كان فيه العرب منقسمون على أنفسهم، فلا شيء يجمع بينهم، ولم يكن لهم شأن يذكر بين الأمم، فجاء الإسلام فتحقّقت بفضله وحدة الجزيرة العربية، والتي كانت قبل ذلك ضربًا من الخيال، فكان هذا من أعظم الأحداث التي لن يقتصر تأثيرها على جزيرة العرب فحسب وإنّما على العالم بأسره. وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تحثّ على الاجتماع وتنبذ الافتراق، ولا بأس أن نذكر بعضها، فقد قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}،[٢١] وقال تعالى أيضًا: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}،[٢٢] وقال أيضًا: {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}.[٢٣]

أما الأحاديث النبوية الصحيحة، فهي كثيرة أيضًا، نذكر منها قوله عليه الصلاة والسلام: "إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملّة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة"،[٢٤] وقال أيضًا: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنّه مَنْ يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعة ضلالة".[٢٥]

وقد حثّ العلماء على وجوب التزام الجماعة، ونبذ الافتراق والشقاق، وطاعة أولي الأمر في غير معصية، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ مواقف العلماء في الأندلس لا يصعب معرفتها، لأنّ تحقيق الوحدة الإسلامية أمر يزيد الدين عزًا وغلبة، وحال هذه المنطقة كما رأيناه لا يرضاه أي مسلم فما بالك بالعلماء، وسأذكر كلامًا لبعض علماء ذلك العصر ممّا وقفت عليه حول مواقفهم من ملوك الطوائف، وفي مقدمتهم علاّمة الأندلس في القرن الخامس الهجري ابن حزم الظاهري،[٢٦] فإنّ له مقالة نفيسة في هؤلاء جاء فيها: "اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملّتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عمّا قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سببًا في انقراض أعمارهم وعونًا لأعدائهم عليهم، وعن حياضة ملّتهم التي بها عزّوا في عاجلتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرف لذلك أهل الذمة وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقّق أهل النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك، فضعف هّمنا، لأنّهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحمية للملة الغرّاء"،[٢٧] وممّا قاله أيضًا:" اجتمع عندنا في الأندلس في صقع واحد أربعة خلفاء، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة في موضعه، وتلك فضيحة لم ير مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام، كلّهم يتسمّى بالخلافة وإمارة المؤمنين، وهم خلف الحصري في إشبيلية على أنّه هشام من بعد اثنتين وعشرين عامًا من موت هشام، فخطب له على منابر الأندلس، وسفكت الدماء من أجله، ومحمد بن القاسم خليفة في الجزيرة الخضراء، ومحمد بن إدريس خليفة بمالقة، وببشتر إدريس بن يحي بن علي".[٢٨]

وهذا عالم آخر لا يقل مكانة عن ابن حزم، إنّه فقيه الأندلس ورئيس المالكية فيها سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي،[٢٩] فمنذ أن عاد من رحلته المشرقية سعى جاهدًا إلى الإصلاح بين ملوك الطوائف، وكانوا يجلّونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن، ولم تكلّل مجهوداته بشيء يذكر، وعند اشتداد خطر النصارى ضاعف الباجي نشاطه، وطاف على هؤلاء الأمراء واحدًا واحدًا، ورغم عظم البلاء وإحاطته بالبلاد، فإنّ أحدا من هؤلاء لم يستجب له، ولذلك نجده في آخر حياته يتحوّل عن تفكيره، وبدل محاولة الإصلاح بين هؤلاء تبنّى كغيره من العلماء فكرة اللجوء إلى النجدة المرابطية،[٣٠] لكنّ القدر لم يمهله، فتوفي قبل أن يرى ما تقرّ به عينه في إعادة الوحدة إلى هذه المنطقة.

أما عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربي المعافري[٣١] من إشبيلية، فله كلام حسن يصف فيه حال الأندلس قبل دخول المرابطين إليها فقال: "وكانت جزيرة الأندلس قد تملكها من تاريخ ابتداء الفتنة سنة أربعمائة عدة ثوار، فصعب أهلها عن مدافعتهم، وتلقبوا بألقاب الخلفاء، وضربوا النقود بأسمائهم وأثاروا الفتنة بينهم لرغبة كل واحد منهم في الاستيلاء على صاحبه، واستنجدوا بالنصارى عندما اعتقد كل واحد منهم أنه أحق من صاحبه".[٣٢]

وهذا نص آخر من شاهد عيان لعالم جليل في بلاد المغرب والأندلس، إنّه حافظها العالم الجليل ابن عبد البر[٣٣] الذي عايش الأحداث عن كثب، فكتب قائلاً: "وانقطع ملك بني أمية بعد الأربعمائة بأعوام يسيرة، فصار كل من غلب على موضع ملكه واستعبد أهله، وكثر فيها الأمراء، فضعفوا وصاروا خولا للنصارى، يؤدّون إليهم أضعاف ما كانوا يأخذون منهم اليوم".[٣٤] وقد دفع بعض الفقهاء حياته ثمنًا لمواقفه الحازمة والصريحة تجاه ملوك الطوائف، ومن هؤلاء المحدّث أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني،[٣٥] الذي جسّد بحقّ نموذج الشجاعة والجرأة التي أبان عنها بعض العلماء في الأندلس تجاه حالة التمزّق التي تشهدها أرض المسلمين، وما نجم عن ذلك من خطر صليبي،[٣٦] وممّا حفظ عنه قبل وفاته أنّه بعث إلى أمير إشبيلية المعتمد بن عباد[٣٧] رسالة ملتهبة يحرضّه فيها على الجهاد، فأنشد هذه الأبيات:

أيا أسفا للدين إذ ظلّ نهبة
بأعيننا و المسلمون شهود
أعيذكم أن تذهبوا فيمسكم
عقاب كما ذاق العقاب ثمود
وأقبح بذكر يستطير بأرضكم
يؤم به أقصى البلاد وفود[٣٨]

وقد صوّر الفقيه ابن العسال[٣٩] حال السلمين في الأندلس بأنّها بائسة، يملأها القلق والرعب، إذ هم ضحية لتكالب أعدائهم النصارى وجبن حكامهم فأنشد:

ولقد رمانا المشركون ببأسهم *** لم تخط لكن شأنها الاصماء
باتت قلوب المسلمين برعبهم *** فحماتنا في حربهم جبناء[٤٠]

فلا شك في أنّ وصف حكام المسلمين في هذه الأوقات الصعبة بالجبن لأعظم دليل على نفور هذا الفقيه منهم وشدّة نكيره عليهم، كما يعتبر مثالاً لموقف العلماء الواضح تجاه هؤلاء الذين حملوا ألقاب الخلفاء، وقال أيضًا:

يا أهل الأندلس حثوا مطيكم
فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى
ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدولا يفارقنا
كيف الحياة مع الحيّات في سفط[٤١]

ويروي صدر البيت الثالث هكذا:

من جاور الشر لا يأمن بوائقه
كيف الحياة مع الحيّات في سفط[٤٢]

٢/ ب– دعوة العلماء للاستنجاد بالمرابطين:

بعد أن فشلت جهود العلماء في إقناع ملوك الطوائف بالوحدة، وبعد أن زاد انقسامهم واشتدّت العداوة بينهم وتعاظم الخطر الصليبي، لم يكن هناك من سبيل إلا طلب المساعدة من قوة مسلمة خارجية قادرة على مواجهة الفتن الداخلية والتصدّي للنصارى. ومن رحمة الله ولطفه بالمسلمين أن ظهرت في هذه المرحلة دولة المرابطين التي نشأت في بلاد المغرب الأقصى ورفعت لواء الجهاد، وتمكّنت من تحقيق انتصارات كبيرة، فشاع ذكرها وذاع صيتها، فكانت أملاً لأهل الأندلس، وكان لسقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) عظيم الأثر في ترسيخ فكرة الاستنجاد بالمرابطين. وللأسف لم يكن سقوط هذه المدينة ليحرّك ملوك الطوائف، بل تهافت على ألفونسو السادس رسلهم مهنئين ومباركين وواضعين أنفسهم وأموالهم في خدمته، وبلغ من تخاذلهم واستسلامهم وضعف حميّتهم أن أهدى إليه أحدهم هدّية قيّمة، فأعطاه بدلاً عنها قردًا فصار يفخر بذلك على جميع ملوك الطوائف، معتقدًا بأنّه حاز رضى الملك النصراني.[٤٣]

وبعد أن يئس المسلمون من هؤلاء الأمراء المتخاذلين، وأيقنوا أن لا خير يرجى منهم، عقدوا اجتماعًا في قرطبة حضره جمع من العلماء على رأسهم قاضيها عبيد الله بن محمد بن أدهم،[٤٤] فتشاور الجميع في حال الأندلس، وما وصلت إليه من ذلة وصغار، واقترح البعض الإستنجاد بعرب إفريقية الهلاليين، ولكن القاضي بن أدهم تخوف من وصولهم وتخريبهم البلاد كمل فعلوا بإفريقية،[٤٥] وفي مقابل ذلك اقترح أن يستنجدوا بالمرابطين فهم أقرب وأصلح، فطلب منه المجتمعون أن يكاتب يوسف بن تاشفين[٤٦] وأن يستدعيه وفوّضوه بالأمر.

لقد كان مؤتمر قرطبة الذي أشرف على عقده العلماء مؤتمرًا مصيريًا، أخذ على عاتقه مسؤولية إنقاذ الأندلس من الخطر الذي بات يتربص بها أكثر من أي وقت مضى، وتجسيدًا لما اتفق عليه تشكّل وفد من العلماء ضمّ كل من قاضي قرطبة أبو بكر بن أدهم وقاضي غرناطة ابن القليعي،[٤٧] وقاضي بطليوس ابن مفاذا،[٤٨] وحمل هذا الوفد رسالة إلى يوسف تصف حال الأندلس وتدعوه إلى الجواز إليها لإنقاذها من النصارى.[٤٩]

ومن أبرز علماء تلك المرحلة العصيبة الذين لم يتردّدوا في دعوة المرابطين للجهاد في الأندلس أبو بكر الطرطوشي،[٥٠] ويتجلّى موقفه بوضوح في رسالة بعثها إلى يوسف بن تاشفين، فبعد أن ذكّره بالله وحثّه على تقواه في الرعيّة، ساردًا عليه أقوال الله تعالى وأقوال نبيه محمد صلّى الله عليه وسلم، وسيرة الصالحين قال: "فجهاد الكفار فرض عليك فيما يليك من ثغور بلاد الأندلس، وعندك الكراع (الخيل والبعير والحمير) والسلاح ولامة الحرب، وجيوش المسلمين وحماة البيضة (البلاد) طائعون لك، وكذلك مَن بنواحيك، وأنت في حرج من تضييع من في ثغور أرض الأندلس من جماعة المسلمين والحرم والذراري، أفلا تأسيت بمن سافر إليها من أرض الحجاز من حماة المسلمين ومجاهديهم حتى استفتحوها وبثّوا فيها كلمة التوحيد، فإذا أردت الظفر بالعدو فعليك بالعدل في الرعية، فلأن كنت تستنصر بجنود أهل الأرض، لقد كنّا نستنصر لك بجنود أهل السماء، حتى قدم إلينا الفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله، فذكر من سيرتك من جهاد العدو وصبرك على مكافحته وإعزازك للدين وأهله والعلم وحملته، والله نسأل الذي يهب الجزيل من فضله أن يهبنا وإياك الشهادة في سبيله، ثمّ إليه سبحانه تعالى نضرع أن يريك الحق حقا فتتبعه والباطل باطلاً فتجتنبه، فصلاح الراعي بصلاح الرعيّة".[٥١]

وأورد ابن الأبار في التكملة في ترجمة الفقيه أبي عبد الله محمد بن حسين بن محمد بن عريب الأنصاري،[٥٢] أنّه تجوّل كثيرًا في بلاد الأندلس والعدوة (بلاد المغرب)، وقد أرجع البعض سبب ذلك أنه كان يسعى من وراء ذلك للإصلاح بين هؤلاء الملوك.[٥٣] وهذا الإمام أبو حامد الغزالي،[٥٤] لمّا علا ذكر الأمير يوسف بن تاشفين في بلاد الإسلام، ذُكر أنّ الغزالي فكّر في الانتقال إلى المغرب للعيش في كنف هذا الأمير العظيم، ونقل عنه قوله في أمراء الطوائف: "يجب على

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الأمير قتال هؤلاء المتمردة لاسيما وقد استنجدوا بالنصارى المشركين أوليائهم وهم أعداء الله في مقابلة المسلمين الذين هم أولياء الله، فمن أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية".[٥٥]

وممّن ناصر المرابطين الفقيه أبو مطرف الشعبي،[٥٦] حيث كان من الساعين لاستقدامهم، والفقيه المحدث أبو القاسم الحسن بن عمر الهوزني،[٥٧] فقد ذكر المقري أنّه حرض يوسف بن تاشفين على المعتمد بن عباد حتى أزال ملكه.[٥٨] ولم يكتف العلماء بدعوة المرابطين لجهاد النصارى فقط، بل كانوا أول من بذلوا أنفسهم في سبيل الله، فسقط بعضهم شهيدًا في سبيل الله، ومن هؤلاء الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي،[٥٩] الذي أبلى بلاءً حسنًا في معركة الزلاقة الخالدة، [٦٠] واستشهد فيها مقبلاً غير مدبر، وممّن استشهد أيضًا أبو رافع الفضل بن علي بن محمد بن حزم[٦١] ابن فقيه الأندلس ابن حزم، وكان من أهل العلم.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي الإشارة إليها في الأندلس، مسألة فقهية تتعلق بالمفاضلة بين الحجّ والجهاد، وممّن أفتى في المسألة الفقيه أبو الوليد ابن رشد،[٦٢] فقد كتب إليه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[٦٣] يسأله هل الحجّ أفضل أم الجهاد؟ ونص السؤال كما يلي: "بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، جوابك رضي الله عنك فيمن لم يحج من أهل الأندلس في وقتنا هذا، هل الحجّ أفضل أم الجهاد؟ راجعنا في ذلك بما تراه، موفقًا مأجورًا إن شاء الله"، فأجاب رحمه الله تعالى: "تصفحت رحمنا الله وإياك سؤالك هذا، ووقفت عليه، وفرض الحجّ ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا هذا لعدم الاستطاعة التي جعلها الله شرطًا في الوجوب، لأن الاستطاعة القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال، وذلك معدوم في هذا الزمان، وإذا سقط فرض الحج لهذه العلّة صار نفلاً مكروهًا، لتقحم الغرر فيه، فبان بما ذكرناه أنّ الجهاد الذي لا تحصى فضائله في القرآن والسنن المتواترة والآثار أفضل، وأن ذلك أبين من أن يحتاج إلى السؤال عنه".[٦٤]

٢/ ج- المواقف المؤيّدة لملوك الطوائف:

لقد كان لوضع الأندلس المتأزم الذي يطبعه الانقسام والضعف الأثر الكبير في مواقف العلماء الرافض لملوك الطوائف أولاً، ثمّ الدعوة إلى الاستنجاد بالمرابطين ثانيًا، ويمكن القول أن شبه إجماع قد حصل حول هذا الأمر الأخير خاصة، لكن هناك بعض الفقهاء رأى عكس ذلك، وإن كان عددهم قليل وصوتهم غير مسموع، إلا أنّهم جهروا بمواقفهم المعارضة للمرابطين خاصة، ومن هؤلاء الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفرج،[٦٥] وممّا يذكر عنه أنّه تعصّب كثيرًا للعبّاديين ضد المرابطين، ولما غلب على الأندلس المرابطون أسقطوه عن الفتوى إلى أن مات،[٦٦] وكان هذا الفقيه صاحب مكانة عالية، فهو كبير المفتين في قرطبة، غير أنّ معارضته لم تكن ذات جدوى، ذلك أنّ تيار الوحدة وطلب النجدة المرابطية أصبح تيارًا جارفًا لا يقاوم، وتبقى الأسباب التي دفعت هذا الفقيه إلى إصدار مثل هذه الفتوى الشاذة غير معروفة، وإن كان يتبادر إلى الذهن أنّ السبب الرئيس الذي دفعه إلى اتخاذ هذا الموقف هو الخوف من فقدانه منصبه إذا تمكّن المرابطون من حكم الأندلس.

وبعد معركة الزلاقة وعودة ابن تاشفين إلى المغرب لم يلبث أن عاد ملوك الطوائف إلى سابق عهدهم ووالوا النصارى من جديد، فكان هذا العمل بمثابة الانتحار السياسي، والذي اتخذّه العلماء حجة ودليلاً قويًا لإصدار فتوى تبيح لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين القضاء عليهم نهائيًا.

خاتمة

من خلال هذا الموضوع، يتضح جلّيًا أنّ العلماء كان لهم دور بارز في إنهاء وضع شاذ صنعه بعض الأمراء الذين ستبقى وصمة العار مرتبطة بهم على مرّ الدهور، فقد أذلّوا أنفسهم وأسهموا إلى حدّ كبير في ضياع الأندلس. وأخيرًا؛ أقول إن دور العلماء لا ينبغي أن يحصر في جانب واحد فقط، فهم أهل الحل والعقد الذين ينبغي عليهم قيادة الأمة وتوجيهها، وهم من البطانة التي ينبغي أن يتخذّها الحكام وأن يأخذوا بتوجيهاتها ونصائحها، وكلّ محاولة لتحجيم دورهم تعود بالضرر على الأمة بأكملها، وللأسف هذا ما حدث وما زال يحدث إلى الآن في كثير من مناطق العالم الإسلامي.

والسؤال الذي يطرح نفسه، أين نحن اليوم من ذلك الزمان ؟ لا شك أنّ الوضع السياسي متشابه بل أسوأ بكثير، فملوك الطوائف اليوم ليسوا في منطقة واحدة، وإنّما في كلّ العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، لكنّ الشيء الذي يختلف، أنّه في ذلك الوقت ظهر علماء أجلاّء أسهموا في إنقاذ الأمة، فتحقق ما تقرّ به عيون المؤمنين ويغيض قلوب الكافرين ولو إلى حين، أمّا اليوم فأين العلماء؟ ، فقد غابوا أو غيّبوا، والأمران سيان، لأنّ النتيجة واحدة، فبلاد المسلمين تنتهك حرماتها ولا رادّ لذلك، فإلى أن يظهر علماء أمثال أبو الوليد الباجي، والطرطوشي، وعمر بن الحسن الهوزني، وابن رميلة القرطبي، وأمراء أمثال يوسف بن تاشفين، نبقى نتجرّع ذلّ الهزائم والانكسارات والانقسامات إلى أن يشاء الله.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

(١) **المنصور بن أبي عامر**: محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد، كان أصله فيما يقال من الجزيرة الخضراء، وله بها قدر وأبوّة، ورد شابًا على قرطبة، فطلب العلم والأدب وسمع الحديث وتميّز في ذلك، وكانت له همة يحدّث بها نفسه بإدراك معالي الأمور، ثم علت حاله وتعلق بوكالة صبح أم هشام المؤيد، وزاد في الترقّي معها إلى أن مات الحكم المستنصر، وكان هشام صغيرًا وخيف الاضطراب، فضمن لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها، واستمال العساكر، وجرت أحوال علت فيها قدمه حتى صار صاحب التدبير والمتغلّب على الأمور، وصحب هشام المؤيد وتلقّب بالمنصور، ودانت له الأندلس كلّها وأمنت به.

وكان محبًا للعلم مؤثرًا للأدب، وكان له مجلس في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام فيه بحضرته ما كان مقيمًا في قرطبة، لأنه كان ذا همّة عالية في الجهاد مواصلاً لغزو الروم، فقد غزا أكثر من خمسين غزوة، وفتح فتوحًا كثيرة، ووصل إلى مواقع جمّة امتنعت على من كان قبله، وملأ الأندلس بالغنائم والسبي، وكان كلما انصرف من قتال العدو يأمر بنفض غبار ثيابه التي حضر فيها معركة القتال، وأن يجمع ويحتفظ به، فلما حضرته منيّته أمر بما اجتمع إليه من ذلك أن ينثر على كفنه إذا وضع في قبره، توفي المنصور بن أبي عامر في طريق الغزو في أقصى الثغور في مدينة سالم سنة ٣٩٣ هـ (أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ج ١، ص ١٥٢).

(٢) **هشام المؤيد**: هشام بن الحكم بن عبد الرحمان الناصر، من خلفاء الدولة الأموية في الأندلس، بويع يوم وفاة أبيه سنة ٣٦٦هـ، قُتل سنة ٤٠٣هـ في قرطبة (خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ج٨، ص٧٥).

(٣) عبد الرحمان بن المنصور بن أبي عامر: يُلقب بشنجول، آخر العامريين، ولي الحجابة بعد وفاة أخيه المظفر عبد الملك سنة ٣٩٩هـ، تلقب بالناصر ثمّ المأمون، قُتل سنة ٤٠٠هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٣، ص٣٢٥).

(٤) أحمد مختار العبادي (دكتور)، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، ص٤٦٠.

(٥) **الناصر**: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد، من أشهر حكام بني أمية في الأندلس، حكم من سنة ٣٠٠هـ إلى سنة ٣٥٠هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٣، ص٣٢٤).

(٦) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر، ولد سنة ٣٦٦هـ، تلقب بالمهدي، قُتل سنة ٤٠٠هـ (نفسه، ج٧، ص١٣٢).

(٧) أحمد مختار العبادي (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٦٤.

(٨) **الصقالبة**: كانوا في الأصل رقيقًا من بني الشعوب السلافية الذين بيعوا في الأندلس، ثمّ توسع الأندلسيون في استعمال هذا اللفظ، وأطلقوه على مواليهم الذين جلبوا من مختلف مناطق أوروبا. (أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص٤٦٦).

(٩) **المعتد بالله**: هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمان الناصر، بويع بعد وفاة المستكفي سنة ٤١٨ هـ ، وهو آخر حكام بني أمية في الأندلس. (الزركلي، المرجع السابق، ج٨، ص ٧٧).

(١٠) **أبو الحزم بن جهور**: جهور بن محمد بن جهور، صاحب قرطبة، ولد سنة ٣٦٤هـ، ولي الوزارة أيام الدولة العامرية، أعلن نهاية الدولة الأموية نهائيًا سنة ٤٢٢هـ، لتبدأ مرحلة ملوك الطوائف، استقل بقرطبة ونظّم شؤونها فعمها الأمن والاستقرار، توفي سنة ٤٣٥هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٤١).

(١١) أحمد مختار العبادي (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٦٤.

(١٢) أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، شرح وضبط وتعليق: مريم قاسم الطويل، ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ج١، ص٤١٩.

(١٣) نفسه، ج١، ص٢٠٥.

(١٤) أحمد مختار العبادي (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٦٥.

(١٥) أحمد مختار العبادي(دكتور)، المرجع السابق، ص٤٦٦.

(١٦) **ألفونسو السادس**: حكم بين سنتي ١٠٣٥م و١٠٦٥م، عاصر هذا الملك عهد ملوك الطوائف وبداية عهد المرابطين، استطاع أن يدفع حركة الاسترداد دفعًا قويًا، مستغلاً ضعف المسلمين وانقسامهم على أنفسهم، وحقق ما عجز عنه أسلافه، إذ احتل طليطلة سنة ١٠٨٥م، وبالغ في حربه ضد المسلمين والاستهزاء بهم، ولقي هزيمة منكرة في الزلاقة سنة ١٠٨٦م. (انظر: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس "دول الطوائف"**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، ص٣٨٩ و ما بعدها).

(١٧) **يحيى القادر بن ذي النون**: تولى حكم طليطلة بعد وفاة جده المأمون سنة٤٦٧ هـ، وكانت أولى سقطاته تخلّصه من وزير جده أبو بكر بن الحديدي، وفي نفس الفترة تعرضت أملاك القادر لغارات ابن هود صاحب سرقسطة، فالتجأ القادر إلى ألفونسو، وفي سنة ٤٧٢ هـ ثار أهل طليطلة على القادر واستنجد بألفونسو الذي أعاده إلى ملكه، وكان ألفونسو يسعى إلى إنهاك قوة طليطلة، فبدأ بشن الغارات عليها، وفي سنة ٤٨٧هـ زحف ألفونسو على المدينة بجيش كبير وحاصرها إلى أن استسلمت في محرم سنة ٤٧٨هـ (محمد محمود عبد الله بن بية، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، دار الأندلس الخضراء، جدّة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص١٣٦).

(١٨) أحمد مختار العبادي (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٧١.

(١٩) محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٦٥.

(٢٠) إبراهيم القادري بوتشيش (دكتور)، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص١١٩.

(٢١) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

(٢٢) سورة الأنفال، الآية (٤٦).

(٢٣) سورة الروم، الآيتان ٣١ / ٣٢.

(٢٤) انظر تخريج الحديث في: ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق وتعليق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشر، ١٩٩٧، ج١، ص٣٤٠.

(٢٥) انظر تخريج الحديث في: ابن أبي العز، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٥.

(٢٦) **ابن حزم**: علي بن محمد، شاعر وفيلسوف ومؤرخ وفقيه وعالم بالأنساب، بعث مذهب الظاهرية من جديد، من كتبه المحلى، جمهرة أنساب العرب، طوق الحمامة، توفي سنة ٤٥٦هـ (المقري، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٢).

(٢٧) ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، تحقيق: إحسان عباس (دكتور)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٧، ج٢، ص٤١.

(٢٨) أحمد مختار العبادي (دكتور)، المرجع السابق، ص٤٦٩.

(٢٩) **أبو الوليد الباجي**: سليمان بن خلف، أحد كبار أعلام الأندلس، من أهل قرطبة، ولد سنة ٤٠٣هـ، رحل إلى المشرق حيث طلب العلم، ثّم عاد إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عامًا، من أهم مؤلفاته، المنتقى في شرح الموطأ، شرح المدونة، توفي رحمه الله سنة ٤٧٤هـ (المقري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٣. الزركلي، المرجع السابق، ج٣، ص١٢٥).

(٣٠) عمر بن حمادي، **الفقهاء في عصر المرابطين**، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، تونس١٩٨٧، ص٤٩٣.

(٣١) **عبد الله بن العربي**: عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربي المعافري الاشبيلي، والد الإمام أبو بكر بن العربي، رحل إلى المشرق مع ابنه، ولد سنة ٤٣٥هـ، وكان عالمًا ذا صيانة وجلالة، توفي رحمه الله سنة ٤٩٣هـ (ابن بشكوال، **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، ج٢، ص ٤٣٨).

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(٣٢) عصمت عبد اللطيف (دكتور)، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية**، دار الغرب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص١٧٧.

(٣٣) **ابن عبد البر**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، حافظ المغرب، ولد سنة ٣٦٨هـ في قرطبة، له مؤلفات كثيرة أهمها التمهيد والاستذكار والاستيعاب، توفي سنة ٤٦٣هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٧٣. الزركلي، المرجع السابق، ج ، ص٢٤٠).

(٣٤) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ١١٧.

(٣٥) **أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني**: فقيه اشبيلي، من أسرة علمية معروفة، قتله بنو العباد سنة ٤٦٠هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٥. المقري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٧).

(٣٦) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص١٢٣.

(٣٧) **المعتمد بن عباد**: محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، صاحب اشبيلية، ولد سنة ٤٣١هـ في باجة في الأندلس، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٦١هـ، اتصل بالمرابطين وشارك في معركة الزلاقة، خلعه يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٤هـ وسجنه، توفي سنة ٤٨٨ هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٦، ص١٨١).

(٣٨) محمد محمود عبد الله بن بية، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٣٥.

(٣٩) **ابن العسال**: أبو أحمد عبد الله ابن فرج بن غزلون اليحصبي من طليطلة، زاهدها المشهور، توفي سنة ٤٨٧هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٥. المقري، المصدر السابق،ج٤، ص ١٨٣).

(٤٠) محمد محمود بن بية، المرجع السابق، ص١٣٥.

(٤١) **السفط**: الوعاء، قال ابن منضور: السفط الذي يعبى فيه الطيب، وما أشبهه من أدوات النساء. (ابن منضور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٧، ص ٣١٥).

(٤٢) المقري، المصدر السابق، ج٦، ص١٢١.

(٤٣) محمد سهيل طقوش (دكتور)، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٤٧٠.

(٤٤) فقيه قرطبي توفي سنة ٤٨٦هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥٩).

(٤٥) عصام محمد شبارو، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٢٣٩.

(٤٦) **يوسف بن تاشفين**: أشهر ملوك المرابطين، أسس مدينة مراكش، غزا الأندلس وانتصر في الزلاقة ٤٧٩هـ، وقضى على ملوك الطوائف، توفي سنة ٥٠٠هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٨، ص ٢٢٢).

(٤٧) **أبو جعفر أحمد بن خلف القليعي**: قاضي غرناطة، توفي سنة ٤٩٨هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٤).

(٤٨) ذكره محمد بن بية تحت اسم ابن مفاذا. (**الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، ص١٤٢)، في حين ذكره عمر بن حمادي تحت اسم أبي إسحاق بن مقنا. (**الفقهاء في عصر المرابطين**، ص١١٢).

(٤٩) محمد محمود بن بية، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٥٠) **أبو بكر الطرطوشي**: محمد بن الوليد بن خلف الفهري الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة ثغر سرقسطة، ويقال له ابن أبي زندقة، ولد سنة ٤٥١هـ، كان إمامًا عاملاً، سكن مصر وتوفي في الإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ، له مؤلفات كثيرة منها الحوادث والبدع وسراج الملوك. (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٣، ص ٨٣٨ . المقري، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٠. الزركلي، المرجع السابق، ج٧، ص١٣٣).

(٥١) عصمت عبد اللطيف (دكتور)، المرجع السابق، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٥٢) ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٥٦، ج١، ص٤١١.

(٥٣) إبراهيم القادري بوتشيش (دكتور)، المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٥٤) **أبو حامد الغزالي**: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسوف متصوف، ولد سنة ٤٥٠هـ في طوس في خراسان، من أشهر مصنفاته إحياء علوم الدين، توفي سنة ٥٠٥هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٧، ص٢٢).

(٥٥) أحمد مختار العبادي (دكتور)، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ٤٨٢.

(٥٦) أبو مطرف عبد الرحمان الشعبي، فقيه مالقة الكبير، توفي سنة ٤٩٧هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٠٧).

(٥٧) **أبو القاسم الحسن بن عمر الهوزني**: فقيه اشبيلي، ولد سنة٤٣٥ هـ، نكب بنو العباد أسرته توفي سنة ٥١٢هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٦).

(٥٨) المقري، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٨.

(٥٩) **أحمد بن رميلة القرطبي**: أحمد بن محمد بن فرح الأنصاري، عالم ورع، استشهد في الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م. (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج١، ص ١١٨).

(٦٠) **معركة الزلاقة**: لقد أثمرت جهود العلماء في الأندلس بإقناع ملوك الطوائف بالاستنجاد بالمرابطين، فجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وكان المعتمد بن عباد أول من تلقاه، بعد أن وافق على تسليمه الجزيرة الخضراء، وفي تلك الأثناء كان ألفونسو يحاصر سرقسطة فلما بلغه جواز ابن تاشفين رفع الحصار عنها وبدأ يحشد الجيوش ويستنجد بالنصارى، فوفد إليه كثير منهم، والتقى الجيشان المرابطي وقد انضمت إليه قوات المعتمد وبعض السرايا التي بعثها أمراء الطوائف مثل ابن صمادح وابن بلقين، والجيش المسيحي في الزلاقة قرب بطليوس، وكانت معركة عظيمة أبلى فيها الأندلسيون بقيادة المعتمد بلاءً حسنًا، وحسم يوسف بن تاشفين أمر المعركة لصالحه، إذ تمكن المسلمون من قتل كامل الجيش النصراني تقريبًا، وأصيب ألفونسو السادس إصابة بليغة، غير أنّه تمكن من الفرار في قلة من جنده، وقد أحيت هذه المعركة قلوب المسلمين في الأندلس وأسهمت إلى حد كبير في الإبقاء على ما تبقى من الأندلس في أيدي المسلمين لقرون أخرى، غير أنّ يوسف بن تاشفين لم يحض بالشهرة التي نالها صلاح الدين الأيوبي بتحريره بيت المقدس، وإنجاز بن تاشفين في أقصى ديار الإسلام الغربية لا يقل أهمية عن إنجازات صلاح الدين في المشرق. (أنظر: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس** "ملوك الطوائف"، ص ٣٢٠ وما بعدها).

(٦١) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٧٨.

(٦٢) **أبو الوليد ابن رشد**: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، فقيه الأندلس، نافذ في علوم الشريعة، تولى قضاء قرطبة ثم استعفي منه، توفي رحمه الله سنة ٥٢٠هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٣، ص ٨٣٩. الزركلي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٣).

(٦٣) **علي بن يوسف بن تاشفين**: أمير المرابطين، ولد سنة ٤٧٧هـ، حكم العدوتين، كان تقيًا صالحًا، توفي سنة ٥٣٧هـ (الزركلي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٣).

(٦٤) ابن رشد، **فتاوى ابن رشد**، تحقيق: مختار بن طاهر التليلي (دكتور)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج٢، ص ١٠٢٣.

(٦٥) **أبو عبد الله محمد بن فرج**: من فقهاء قرطبة، ويُعرف أيضًا بابن الطلاع، توفي سنة ٤٩٧هـ (ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٣، ص ٨٢٣).

(٦٦) عمر بن حمادي، المرجع السابق، ص ١٢٥.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449